في اصل الانسان

لجناب الفاضل المعلم رزق الله البرباري

مذهب داروين * ذكرنا في النبذة الماضية قول الكتاب المقدس في اصل الانسان وقول الفلاسفة القدماء وقول بعض الفلاسفة المحدثين وقد اردنا الآن ان نذكر مذهب داروين احدث هذه المذاهب ونبين الاعتراضات التي اعترضت عليه والدواعي الموجبة لرفضه وابطاله فنقول .

ان العلاّمة كارلوس داروين رجل واسع المعرفة دقيق الملاحظة بارع في الوصف معروف بالاخلاص والاستقامة يعدُّ من اشهر علماء الطبقة الاولى بين الطبيعيين ومذهبهُ عظيم الاعتبار وشديد التاثير في اهل هذا العصر وهو ان اصل كل الاختلافات التي في النبات والحيوان هو الاسباب الطبيعية المحضة بفعلها الدائم على تمادي الاجيال كما يظهر من كلامهِ في كتابهِ المسمى اصل الانواع قال اني اعتقد ان الحيوان لم يتناسل من اكثر من اربعة او خمسة اجداد او اصول وكذا النبات وربما كانت اصول النبات اقل وقال ايضاً في تلك الصفحة عينها والمشابهة تحملني على ان اعتقد اكثر من ذلك وهو ان كل الحيوانات والنباتات متسلسلة من اصل واحد الى ان يقول ويمكن ان يكون كل ما عاش على الارض من حيوان ونبات قد تسلسل من هيئة واحدة اصلية انتهى . والاختلاف الجوهري بين مذهبهِ ومذهب من تقدمهُ هو انهُ يفرض وجود الحياة مسلَّماً بهِ ويبني احكامهُ عليهِ بدون ان يتعرَّض لتعليل الحياة واصلها وذلك يستلزم تسليمهُ بوجود خالق . واما هم فينكرون الحياة ويسلمون بوجود الهيولى الميتة ويحاولون ان يعللوا اصل الحياة باسباب طبيعية بدون ان يتعرضوا لتعليل اصل الهيولى ووجه الاتفاق بينهم هو ان كل الاختلافات التي بين الحيوان والنبات انما حصلت عن اسباب طبيعية بدون ان تتداخل قوة مدركة في احداثها

فالمذهب الداروبني يتضمن هذه المبادئ وهي . اولاً . ان الشيء يلد نظيرهُ وبعبارة اخرى ان ناموس التسلسل وراثي فالولد يكون كابيهِ والشيء كمولدهِ او متحوِّ من حيوان ونبات . وثانياً . انهُ وان يكن الولد كوالدهِ في كل الامور الجوهرية الاَّ انهُ يفرق عنهُ في امور متفاوتة عدداً بحسب ناموس الاختلاف . فقد يكون اختلافهُ عنهُ حَرَضاً [1] فيصير فيهِ المولود اضعف من الوالد وقد يكن غير معتبر فيبقى فيهِ المولود مساوياً لوالدهِ وقد يكون مقدِّماً فيتقوَّى فيهِ المولود عن والدهِ في ممارسة وظائفهِ ويرتقي النوع . وثالثاً . ان تزايد الحيوان والنبات متسارع كالنسبة الهندسية في الحساب فيزيدان في الكثرة عما يكفيهما من وسائط التغذية ولذلك فلا بد من ان يكون بين كل فرد من افرادها مجاهدة دائمة وسعي لاكتساب

(١) الحَرَض الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل والاكل والسقم والاعياء

المعيشة وحفظ الحياة . ورابعاً . لما كان لا يفوز بالغلبة في هذه المجاهدة الا الاقوى بنية والاكمل مناسبة كانت الافراد التي تطرأ عليها اختلافات الضعف بالتولد تعجز تدريجاً عن القيام بمعيشتها والتي تطرأ عليها اختلافات التقوية تغلبها في المجاهدة وتسبقها الى ما تقوم به حياتها فتحيا هذه وتتقوّى وتوصل القوة الى انسالها واما تلك فتموت وتبيد . وعلى ذلك لا يبقى على الارض الا الصحيح الذي يزيد عن غيره مناسبة لحفظ الحياة وصحة الخلق . وهذا ما يعرف عند الطبيعيين بناموس الانتخاب الطبيعي اي ان الطبيعة تنتخب لحفظ الجنس ما حسنت صحته وقويت بنيته من افرادها بدون ان يتوسط في ذلك خالق عاقل او قوة مدركة . وعنده انه بهذه المبادىء القليلة حدثت كل انواع الحيوان والنبات على اختلاف اشكالها وتباين طبائعها واخلاقها بتمادي الاجيال وكرور الادهار

هذا هو مذهب داروين الشهير وهو مردود من اوجه كثيرة ومنها

اولاً لانه يستلزم ان في المادة قوة العقل اذ انه يزعم ان الجرثومة الاصلية (وهي مادة خالية من العقل حسب قوله) ولدت من تلقاء نفسها كل الاجسام الآلية من نباتية وحيوانية مع ما هي عليه من الاختلاف والتباين وان غرائز الحيوان الطبيعية وقوى الانسان العقلية تولدت من خصائص النبات الدنيء الرتبة وهذه المقدمة فاسدة فالنتيجة فاسدة وهي كقولنا ان المنشار والقدوم صنعا كل الخزائن والموائد الموجودة في العالم من تلقاء نفسها

ثانياً لانه يستلزم كون الجرثومة الاصلية وجدت منذ ملايين من السنين وتركت لنفسها واذا كان ذلك كذلك تنتفي كل الادلة المقامة على وجود الله وكل ما جاء في الكتب المترلة عن اعتمال العناية الالهية وذلك كفر محض . اما العلامة داروين فلا ينكر وجود الله ولكن مذهبه يفضي الى ذلك

ثالثاً لانه يستلزم ان كل النباتات والحيوانات الموجودة الآن والتي وجدت في الادوار الجيولوجيّة تولّدت من جرثومة واحدة في مدة تنيف على خمس مئة مليون سنة وليس ذلك فقط بل ان جميع الغريزيّات والقوى العقلية والادبية نجمت من تلك الجرثومة بذلك الفعل الطبيعي ولا برهان على صحة شيء من ذلك . وليس في خرافات الامم عن اصل الكون ما هو ابعد منه عن التصديق . وبما ان هذا المذهب يتعلق باصل الموجودات مما لم يبلغ اليه بشر قط فلا يمكن ان يقام برهان على صحته ولو استقراه فاي عاقل يترك تعاليم الوحي المثبتة اثباتاً كافياً ويتمسك باوهام لا يمكن ان يقام دليل على صحتها

رابعاً ان هذا المذهب يأنف من سماعه كل ذي عقل سليم لانه يستلزم كون الحوت الهائل والعصفور الصغير والانسان العاقل والبرغثة الزرية صدرت من اصل واحد